سيّاف البحر

سمك بحريٌّ له منقار طويل مشبّه به ، السيف وابا سيف . وفي تاج العروس « السيف بالفتح وبكسر سمكة كأنها سيفٌ » . وفي كتاب نخبة الدهر لشمس الدين الدمشقي صفحة ١٤٤ قال : «وسمكة أيضاً كصورة رجل محارب بيده سيف قصير وبالاخرى ترس مدور وعلى رأسه بيضة برفرف وذلك كله قطعة واحدة حيوان واحد جسم حيٌّ واحد السيف عضوٌ والترس عضو والخوذة عضوٌ سمّي سيّاف البحر . ثم علمت ان السيف في الاسكندرية نوع آخر من السمك يشبه السيف ولعلهُ الذي اراده صاحب التاج...لذلك قد قدمت في هذه المادة ابا سيف وسيّاف البحر على السّيف والسّيف» (معجم الحيوان ، للفريق أمين المعلوف)

وقد وصف سترابون الجغرافي هذا السمك قبل الف سنة بقوله «ان حجم السيف في سيّاف البحر، وقوة السمك ، وطريقة صيده ، تجعل خطر صيده لا يقل عن الخطر الذي يحفُّ بمطاردة الخنزير البريء . وما فتىء مراد هذا السمك وصيده من عهد سترابون الى عهدنا هذا في مقدمة أهمال الصيد المحفوفة بالخطر العظيم وصيد سيّاف البحر يعدُّ أعظم ما يستطيعهُ الصياد

***

يبدأ صياد البحر حياته ببيضة صغيرة لا تزيد على رأس دبوس . وعندما تنقس البيضة يكون السمك شفافاً به سيفان صغيران يتدحان بعد ذلك في سيفٍ واحدٍ عريضٍ تسمى السمكة به . وسيّاف البحر ينمو نموّاً سريعاً فيغدو في خلال سنة بعد فقس البيضة سمكة طولها عشر أقدام ووزنها ٦٠٠ رطل وتستطيع أن تكافح الصياد كفاحاً عنيفاً . وهذا السمك كثير في المياه الدافئة والمعتدلة في بحار الأرض . وفي أحد المؤسسات الطبيعية أن سبّاحاً أصيب بسيف السياف فنفذ منه . وكان ذلك في مياه برمودا على ساحل الكونتنانت الغربي

وقد يكون وزن السيّاف البالغ . الف رطل وطوله خمس عشرة قدماً من طرف السيف الى طرف الذيل وجسمه مشيق لا زوائد فيه . فرأس السمك يمتد السيف وطوله ذراع ، والزعنفة الظهرية . والجسم الطويل القوي : جميعها صفات تشريحية تمكن هذا السمك من الحركة القوية السريعة في الماء

ومقرُّ معدم المحرك في سيّاف البحر ذيله الكبير وزعنفتا شبه الذيل . وليس

في بحار الارض حيٌّ يجاري السيّاف في قوته وسرعته وحسن خطوطه . ثم أنهُ شجاع لا يخشى الموت ويحارب حرباً لاهوادة فيها وكثيراً ما يكون ميتاً أو مشفياً قبل أن يستسلم لصائدهِ . وقد يبقى ثماني ساعات أو تسعاً بعد أن ينشب الشصُّ فيه وهو يكافح كفاحاً قويّاً وقد يجرُّ الزورق الذي فيه الصيّاد مسافة عشرين ميلاً في خلال ذلك . ولذلك يعد صيده من أشقّ الاعمال .

ومن طبائعهِ بعد ان ينشب الشصُّ فيهِ ان يرتفع من الماء فلا يبقى الاّ ذيلهُ مغموراً به . وقد وصف الكاتب زين غراي Zane Gray ذلك بقوله : — « ارتفع ثلثاهُ من الماء ولعلَّ ذلك راجع الى قوة ذيلهِ ولكن ارتفاعهُ بدا لي كأنهُ تمَّ بفعل ساحر . ومضى يشق الماء في زبدٍ كثيف على هذا المنوال ، ذيلهُ في الماء وجسمهُ فوق الماء ، فكأنهُ كان يمشي على سطح البحر ، وهو يحرّك رأسهُ الكبير ، وسيف الرأس مشرع في الهواء وشدقاه مفتوحان وزعنفته الظهرية مزبرّة منتفشة كأنها عفرة الأسدة »

وقد يقفز فوق سطح الماء عشرين قدماً . قال الكاتب دون Donne : «وأحياناً يقفز من الماء قفزة غير عالية ولكن مداها ثلاثون او أربعون قدماً فيلمع جلده في ضوء الشمس كأنه سيف فضي مصقول » . وسيّاف البحر يقتات بصغار السمك فيقتحم ضحضاحَ الماء حيث يكثر السمك الصغير ويضربه بسيفه يميناً ويساراً حتى يميتهُ او يدوخهُ او تزيد وقد يرتفع من الماء ثم يهبط على ثول السمك فيشوّه بعضه او يدوخه ثم يفغر شدقيه ويلتهم

***

ومن الفعال التي تسند اليه هجومه على الزوارق وهي مصنوعة من الخشب على الغالب فيحطمها . وقد جاء في تقرير لمصلحة مصايد الاسماك في الولايات المتحدة ان ثمانية سيوف من سيوف هذا الحيوان وجدت في آخر فصل الصيد مخترقة خشب سفينة واحدة . ومن هذه السيوف ما كان كبيراً صغيرة ومنها ما كان طوله قدماً . ومما يروى ان سيّاف بحر اخترق بسيفهِ قطعة من الخشب ثخانتها تسع بوصات . فلما سئل أحد المهندسين الميكانيكيين في ذلك قال ان دق مسمار في قطعة خشب من هذا القبيل يقتضي ضرب المسمار تسع ضربات بمطرقة وزنها خمسة وعشرون رطلاً . واليك رواية أخرى وهي عن السفينة «ذي فورتشون» . فقد شعر رجالها في أحد الايام بهزة عنيفة تبيّنوا بعدها ان سيّاف البحر ضربها بسيفه فاخترق به لوحاً رقيقاً من النحاس ولوحاً آخر من الخشب الصلب ثخانتهُ ثلاث بوصات . وسيف السيّاف مصنوع من مادة صلبة كالعاج والقوة التي يفرغها في ضربه قد تبلغ قوة مائتي حصان أحياناً اذا ما كانت سرعته نحو ستين ميلاً في الساعة